

الشخصية والحياة الروحية في فلسفة الدين عند برايتمان للأستاذ محمد عثمان الخشت

إعداد : عمران صورية¹

عنوان الكتاب: الشخصية والحياة الروحية في فلسفة الدين عند برايتمان
اسم المؤلف: د. محمد عثمان الخشت
اللغة الأصلية: اللغة العربية
التصنيف المكتبي: فلسفة الدين
دار النشر: دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع
تاريخ النشر: 2007 . مكان النشر: القاهرة
الترقيم الدولي: 977-303-520-4

التعريف بصاحب الكتاب:

مفكر عربي، أستاذ فلسفة الدين والمذاهب الحديثة والمعاصرة بكلية الآداب جامعة القاهرة، موسوعي الثقافة يجمع بين التعمق في التراث الإسلامي والفكر الغربي، تتميز مؤلفاته بالجمع بين المنهج العقلي والخلفية الإيمانية، له كتابات مرجعية في أصول الدين والمذاهب الحديثة والمعاصرة، وعلم السياسة خاصة المجتمع المدني ودوره، والدولة العالمية والدولة القومية.

لقد كانت شخصية الخشت تحتوي على جوانب عدة، فهو يمثل الشخصية التنويرية العقلانية، المنطقين المنهجية، الفقهية الدينية المعتدلة، الفلسفية الموسوعية، الأخلاقية الكونية.

اشكالية الكتاب:

¹ باحثة في الفلسفة، قسم الفلسفة جامعة وهران الجزائر

كيف استنتج برايتان وحدة وهوية الشخصية كأساس ضروري للدين بوصفه اعتقاد لا مفر منه للقول بالمسؤولية الأخلاقية والتطور الروحي والخلود؟ وكيف برهن على أن وحدة الشخصية الإنسانية لا بد وأن تعود لسبب يتجاوز الإنسان ذاته؟

وننتزع عن هذه الإشكالية مجموعة من المشكلات: فكيف تم الانتقال في فلسفته من الذات إلى الشخص؟ وكيف استطاع تحديد ماهية الشخصية الإنسانية على أساس تجريبي انطلاقاً من الخبرة الإنسانية؟ وكيف عد نظريته - التي تعد الشخصية هي الوعي - نظرية تجريبية متطرفة، وفي الوقت نفسه نظرية دينية؟

موضوع بحثه: l'objet de recherche

لا يمكن لأية فلسفة في الدين أن تغفل الشخصية الإنسانية، لأن الدين ما هو إلا تعبير عن اهتمام الإنسان لكل ما يتعلق بحقيقته ومصيره، ويتضمن أي دين تصوراً للإنسان، لأن الإنسان هو موضوع الدين كما يتضمن تصور الله وهو غاية في هذا الدين، ومن هنا تنبع أهمية هذه الدراسة لمفهوم الشخصية والحياة الروحية عند برايتان، لا سيما مع عدم وجود دراسات عربية حول هذا الموضوع.

هذا وقد قام " محمد عثمان الخشت " بإبراز الطابع الإشكالي للشخصية والحياة الروحية، حيث حلل كيف يمكن استنتاج وحدة واستمرار الشخصية، كأساس ضروري للدين بوصفه اعتقاداً لا مفر منه، للإيمان بالمسؤولية الأخلاقية والحياة الروحية والخلود، وكيف أن وحدة الشخصية الإنسانية لا بد وأن تعود لسبب يتجاوز الإنسان ذاته.

الذات : هي صورة الفرد أمام نفسه أو إدراك الفرد لنفسه ولذاته ومعرفته

بها.

الشخصية : هي صورة الفرد أما الآخرين أو إدراك الآخرين لصورة الفرد

وسماته المميزة له.

منهج الكتاب:

تحليلي : لدراسة وتحليل عناصر الموضوع، و مقارن : لكشف أوجه الاختلاف والتشابه بين برايتمان وباقي الشخصانيين في فهم الدين.
المقارنة بين الاتجاه الشخصاني وباقي الإتجاهات الفلسفية الأخرى.

مضمون الكتاب: le contenu de livre

تنتهج فلسفة الدين المنهج العقلي النقدي في دراسة الدين، وهناك من الفلاسفة من يفضلون مناهج أخرى مثل: المنهج التجريبي، التحليلي، الوضعي المنطقي، البراجماتي، الفينومينولوجي، التفكيكي، وغير ذلك من المناهج الفلسفية. فلسفة الدين هي التفسير العقلاني لتكوين وبنية الدين عبر الفحص الحر للأديان، والكشف عن طبيعة الدين من حيث هو دين، أي عن الدين بشكل عام من حيث هو منظومة متماسكة من المعتقدات والممارسات المتعلقة بأمر مقدسة ومن حيث هو نمط للتفكير في قضايا الوجود وامتحان العقائد والتصورات الدينية للألوهية والكون والإنسان، وتحديد طبيعة العلاقة بين كل مستوى من مستويات الوجود، والبحث في الطبيعة الكلية للقيم والنظم والممارسات الدينية، ونمط تطور الفكر الديني في التاريخ، وتحديد العلاقة بين التفكير الديني وأنماط التفكير الأخرى، بغرض الوصول لتفسير كلي للدين، يكشف عن منابعه في العقل والنفس والطبيعة، أسسه التي يقوم عليها وطبيعة تصوره للعلاقة بين المتناهي واللامتناهي، والمنطق الذي يحكم نشأته وتطوره واضمحلاله.²

يستهل الخشت مقدمته من فكرة أن " الشخص " هو المبدأ الروحي الجوهرية في العالم، كما يعد هذا المفهوم مركز محوري لفهم الدين، وصور هذا في معادلة يمكننا وضعها في مخطط كالتالي :

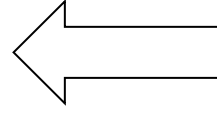
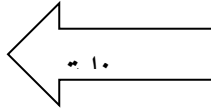
الله

الإنسان

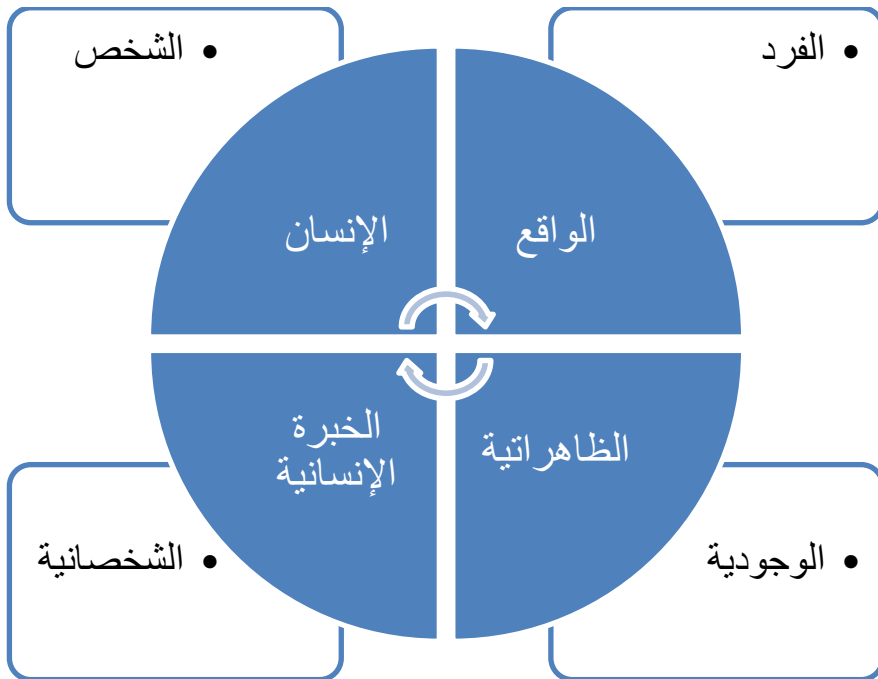
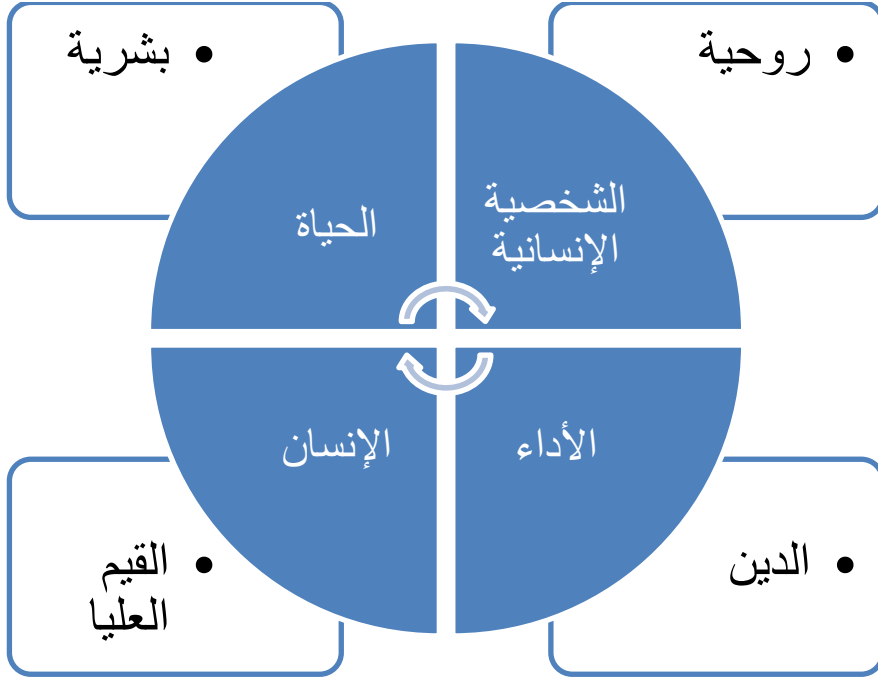
الدين

² محمد عثمان الخشت: " مدخل إلى فلسفة الدين"، دار بباء لمصباغة والنشر

والتوزيع، القاهرة، 2001، ص35.



مرتكزا على مفهمة برايتان للدين على أنه تجربة انسانية، تتمثل في مفهوم الحياة



فعالج في الفصل الأول مفهوم الشخصية بالعودة إلى أهم الموسوعات والمعاجم من لالاند، لعبد القادر الجرجاني، ابن منظور وغيرهم متبعا كرونولوجيا وجينياولوجيا المفهوم معتبرا أنها تيار فلسفي يقف ضد التيارات المادية من جهة ومذهب وحدة الوجود من جهة أخرى، كما أنها ضد كل مذهب شمولي يقلل من قيمة الشخص الفرد من جهة ثالثة.

كما أن الشخصية ترى أن الشخص هو المبدأ الروحي الرئيسي والجوهري في العالم، وتؤكد على القيمة المطلقة للشخص، وبالتالي هي ضد كل مذهب شمولي يقلل من قيمة الشخص كمبدأ في تفسير الوجود.

أما في الفصل الثاني فيعرفنا محمد عثمان الخشت على أهمية الشخصية في الدين بعدما تعرفنا في الفصل السابق لأهمية مفهوم الشخص لما كان يتأسس عليه الوجود، فإنه يبني معالم هذا المفهوم لما له من أهمية في فهم الدين، إذ يرى برايتان : " أنه لا يمكن أبدا لأي فلسفة في الدين أن تغفل بحث الشخصية الإنسانية، لأن الله إذا كان غاية الدين، فإن الإنسان هو موضوع الدين " ³

ويعود بنا هذا التأسيس إلى أن الدين تجربة إنسانية شخصية، ويتوافق في هذا الرأي كل من برايتان وإيمانويل مونييه ورونوفيه ورفضهما لكانط في فكرته عن " الشيء في ذاته "، ورفضوا كل المذاهب التي لا تحيل دورا وأهمية للفرد والشخصية كالجبرية التاريخية والصوفية والمادية.

فلسفة الدين عند برايتان قائمة على دراسة الإنسان أولا، لأن ما نعرفه عن الإنسان أكثر مما نعرفه عن الله، وكون الإنسان كائنا دينيا، فبالتحصي في حياته نثبت أدلة وجود الدين، ومن هنا لن تكون هناك فلسفة الدين على الإطلاق، إذا ما وجدت هذه الأدلة.

³ محمد عثمان الخشت : " الشخصية والحياة الروحية في فلسفة الدين عند

ليكون موضوع الفصل الثالث موضحا جسر الانتقال من الذات إلى الشخص عند برايتمان، على أنه الانتقال من الذات التي تعبر عن أي موقف واعى يتم المرور به ككل وكل موقف تجريبي هو ذات، لكن عندما تمتلك هذه الذات الوعي الذاتي تصبح شخصا، فالشخصية عنده هي : " شخصية الإنسان هي خبرته الواعية ".

4

ووقفا على هذا التعريف يمكننا ربط الخبرة الإنسانية بالنظرة الدينية، هذا أن الدين يهدف إلى تطوير الوعي النبيل.

فالانتقال من الذات إلى الشخص عند برايتمان يتم على جسر الوعي الذاتي والوعي بالقيم، ويلخص لنا الخشت في هذا الفصل جسر الانتقال عند برايتمان ويقارنه بأشكال أخرى كالتى حددها لنا رونوفيه وسنتيانا.

كما يأخذ القسم الثاني من الفصل الثالث أرضية علم النفس بمختلف تخصصاته⁵ لضبط مفهوم الذات ومفهوم الشخص، فالذات هي تجربة كل كائن حي، ويحدد لنا برايتمان خصائص الذات (الهوية، التغير، التفرد، الكلية، الاتصال بالبيئة) مرتكزا على أعلام الشخصية لنخلص في هذا الفصل أنه لا فصل بين الذات والشخص.

أما الفصل الرابع والأخير فأخذ مع الخشت بعد جديد منصبا على البيئة والحياة الروحية، وتوضح ما لوحدة الشخصية من دور في التطور الروحي للإنسان لقول برايتمان : " أن وحدة الشخصية الإنسانية لا بد وأن تعود إلى لسبب يتجاوز الإنسان ذاته، علما بأن الجهاز العصبي للإنسان هو المحيط الذي تعمل فيه تلك العلة

⁴ محمد عثمان الخشت: " الشخصية والحياة الروحية في فلسفة الدين عند

برايتمان، ص 59.

⁵ علم النفس الفردي، علم النفس المقارن.

من خلاله، ومن المعلوم أنه إذا كان الجهاز العصبي جوهرًا ماديًا مستقلًا عن الخضوع لأي عقل، فإن الشخصية تكون ظاهرة ثانوية ناتجة " ⁶.

وهذا كله يعود إلى بناء برايتان كل فلسفته في الدين على أساس تجريبي ينسجم مع الوقائع التجريبية للخبرة الشخصية كما كان موضحًا في الفصل السابق، مفسرًا رؤيته هذه باعتراضه على مجموعة من النظريات (نظرية الوعي المظهري، النظرية التحليلية، النظرية الجوهرية والنظرية العضوية في علم النفس) ليعيد تصورًا شاملًا ينعكس تمامًا على الناحية التجريبية في القول بالذات المعطاة، فحقيقة الموقف التجريبي تكون ذاتا كلية معبرة عن أبعاد ثلاثة في الشخصية ماضي، حاضر، مستقبل.

فقولنا أن للشخص تاريخ هذا يعني أن للشخص خبرة تجريبية كانت موجودة أو ستوجد، فوحدة الشخصية هي وحدة الوعي أو خبرة الوعي بالبيئة.

وختامًا نقول أن فلسفة الدين عند برايتان تحاول أن تؤسس فكرة الشخصية والتوحيد المتناهي والوحي، وأسس الخبرة الدينية وهو النظر في الإيمان ذاته كقوة تربط العالم الأرضي بالعالم السماوي، والوحي الذي يسهم كثيرًا في ترسيخ الإيمان عن طريق الكشف، وكل هذا مبني على منهج برايتان وهو المنهج التجريبي الشخصاني الذي يحدد أن الواقع هو خبرة الأشخاص الواعية، مستندا على قضية وحدة وهوية الشخصية التي تلعب دورًا خاصًا في التطور الروحي والنمو الأخلاقي، ليكون الإيمان بالدين هو الإيمان بوجود الشخصية التي تحمل قيم روحية حقيقية، وهذا ما يميز برايتان كونه أسس الدين على القيم انطلاقًا من أن الإنسان دائمًا ينشد الغايات الدينية والأخلاقية. فكتاب " محمد عثمان الخشت " مدخل أساسي لكل تفكير ديني في موضوعات الألوهية والإيمان والخبرة الدينية.

⁶ محمد عثمان الخشت : " الشخصية والحياة الروحية في فلسفة الدين عند